الفصل الأول

الجهـل

كلما ابتعد الناس عن الدين، اقتربوا من الخرافة. وإذا عاشوا في الخرافة خيم عليهم الجهل. وإذا خيّم عليهم الجهل وقعوا في الضلال وانغمسوا في الرذيلة وشاعت الفاحشة وانهارت الأخلاق وقد قيل:

وإذا أصيب القوم في أخلاقهم فأقم عليهم مأتمًا وعويلا

ومما لا شك فيه أن الأمية الدينية انتشرت بين جميع فئات المجتمع، وأن الفقه في معرفة الحلال والحرام غاب عن مجتمع المسلمين، وانتشر الجدل بين كثير من الناس، وتصدر للفتوى من ليس لديه معلومة من دين ولا فقه ولا معرفة بسنة نبوية ولا بآية قرآنية. وتجرأ الناس على الدين، وقالوا بما لا يعرفون، وسألوا من لا يفقهون؛ وهذه مصيبة بل كارثة كبرى وطامة عظمى. وتجرأ الناس على العلماء، وتطاولوا عليهم، ونالوا منهم، ونظروا إليهم على أنهم من الموظفين في الدولة، شأنهم شأن أي إنسان عادي.

ومرد ذلك كله إلى البعد عن الدين وعدم الالتزام بأصول التربية والتخلي عن القيم النبيلة، وترتب على ذلك البعد عن الأدب والأخلاق. ولعلنا سمعنا قول الشاعر:

إذا الإيمان ضاع فلا أمان ولا دنيا لمن لم يحيي دينا

ومن رضي الحياة بغير دين فقد جعل الفناء لها قرينا

في هذا الجو انتشرت الخرافات وتكلم الناس عن أمنا الغولة، وأبو رجل مسلوخة، والعفاريت، والأشباح؛ وهذه أمور لا بد لها من علاج عند الساحر، والساحر جاهل، وناشر للخرافات، ويهتك الأعراض، ويسلب الأموال، ويحتل أعلى مكانة في الأسرة، وله كل الاحترام والتقدير عند الجهلاء. وهذا الجاهل ينصب نفسه قدوة لهم. ومع أنه سيئ الأخلاق فقد اتخذه الجهلة قدوة وقد نصّبه من هم أجهل منه، لأنه لا يصلي، ويدخن، ويتعاطى المسكرات، والخمور وهذه أكبر مصيبة وأعظم كارثة أن يكون الجاهل قدوة سيئة يقتدي به الشباب وأرباب الأسر، وسيدات المجتمع، ومع أنه قدوة سيئة فهو إن صلى لا يحسن الصلاة،

وإنما يخطفها خطفًا، فليس هناك اطمئنان ولا خشوع، وإنما حركات بهلوانية تؤدى مظهريًا وتغطية للمواقف، وكيف يخشع قلبه، وجسده في الرذيلة؟! يعيش وفكره في أساليب الخداع والمكر، يخطط كيف يحسن صورته أمام المغفلين، وهو يكذب عليهم ويعلن أنه لا يكذب ولكنه يتجمل؛ وأنه لا يسرق، ولكنه يهزر، وفيه وفي أمثاله رُويَ عن أبي قتادة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «أسوأ الناس سرقة الذي يسرق من صلاته. قالوا: يا رسول الله، كيف يسرق من الصلاة؟ قال: لا يتم ركوعها، ولا خشوعها؛ أو قال: لا يقيم صلبه في الركوع والسجود»[1].

وفي رواية أخرى أن رسول الله ﷺ قال: «أسرق الناس الذي يسرق صلاته. قيل يا رسول الله: كيف يسرق صلاته؟ قال: لا يتم ركوعها ولا سجودها. وأبخل الناس من بخل بالسلام»[2] إن أعظم الناس لصوصية وخداعًا ولؤمًا المسرع في صلاته، ولا يحسن أداءها، وهو يجلب الأذى لنفسه، لأنه تجرأ على الله وسرق من صلاته وبخل بإلقاء السلام أو الرد عليه وتكبر على الناس، وتغطرس عليهم، وفيه وفي أمثاله قال الشاعر:

ذئب تراه مصليًا ... فإذا مررت به ركع

يدعو وكل دعائه ... ما للفريسة لا تقع

هون بها يا ذا العلا ... إن الفؤاد قد انصدع

وقد روي أن رسول الله ﷺ «صلى بالناس الظهر، فلما سلم نادى رجلاً كان في آخر الصفوف. فقال: يا فلان ألا تتقي الله؟ ألا تنظر كيف تصلي؟ إن أحدكم إذا قام يصلي إنما يقوم يناجي ربه فلينظر كيف يناجيه. إنكم ترون أني لا أراكم. إني والله لأرى من خلفي كما أرى من بين يدي»[3] هذا وقد رُويَ عن رسول الله ﷺ قوله: «يطبع المؤمن على الخلال كلها إلا الخيانة والكذب»[4].

---

(١) رواه الطبراني - ذلك لأنه وقف أمام الله: غير مؤدب وغير مهذب لأنه لم يطمئن في الصلاة.

(٢) رواه الطبراني.

(٣) رواه النسائي.

(٤) رواه الإمام أحمد.

وفي حديث آخر أن رسول الله ﷺ سُئل: أيكون المؤمن جبانًا؟ قال: نعم. قيل: أيكون المؤمن بخيلاً؟ قال: نعم. قيل: أيكون المؤمن كذابًا: قال.. لا...[٣]

إن الساحر دائمًا يلعب بأعصاب الناس وبهذا اللعب يسيطر على نفوسهم ويوهمهم بأنه على كل شيء قدير.. ولو كان عند الناس عقل لعرفوا أنه لو كان كذلك لنفع نفسه أولاً، وعلى الناس أن يفهموا أنه كلما ضعف الإيمان في نفوس بعض الناس، وسيطرت الخرافات عليهم انقادوا للسحرة، وأصبحت الأسئلة عن السحر وعلاجه ورجاله وأحوالهم أكثر من ٦٥ ٪ من الأسئلة.

من السائلين من يقول لك: أنا معمول ليَّ عمل عندما أدخل البيت أرى زوجتي كالقردة تمامًا، وبعض النسوة يعكسن فيقلن: طول ما الرجل بَرة: البيت هادئ والأمور مستقرة؛ فإذا حضر الرجل فإن منظره كالقرد، وينقلب الأمن المنزلي إلى خوف ورعب وصياح وهياج، إلى غير ذلك من الأقاويل.

بعض الشباب يقول: أنا خطبت فتاة وكنا كويسين جدًا وفجأة أصبحت تنظر إليَّ نظرة مريبة، وتهرب مني. وتقول الفتاة: لقد أصبح في نظري كالخنزير وأخاف منه ولا أحب أن أراه. ومثل هذا يقول الفتى.. إلى غير ذلك من الأمور التي شاعت ورددتها الألسنة. وبعض الناس يظن أن السحر هو الأصل وما عداه فهو الفرع، ونقول للناس جميعًا: السحر أوهام وحيل وتخيل وخداع وشعوذة، وعزائم، وعقد واستعانة بالشياطين فإن الدين يحرم السحر وممارسته وتعلمه كما ورد في الحديث «من أتى عرافًا أو كاهنًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد»[٤].

(٣) رواه مالك مرسلاً.

(٤) أبو داود.

قوة الإيمان وضعفه

إن أعظم سلاح يتسلح به الإنسان لينتصر على نفسه فلا يضعف أمام هذه الخرافات؛ هو الإيمان بالله ربًا خالقًا قادرًا عليمًا، فهو مع كل إنسان أينما كان لأنه كما يقول ربنا سبحانه وتعالى: ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُواْ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[1]. والإيمان هو ما وقر في القلب وصدقه العمل. لهذا فإن الإيمان في القلب يزيد قوة بالعمل الصالح وطاعة الله والتمسك بهدي نبيه ﷺ، وكلما قوي الإيمان كلما اقترب الإنسان من مولاه الذي خلقه. وهو سبحانه يتولى العبد الصالح بالرعاية والعناية ولا تستطيع الشياطين أبدًا أن تقترب من ساحته لأن المؤمن شعاره: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[2]. والمؤمن يعتقد أنه لا يقع في ملك الله إلا ما أراد الله، ونقصان الإيمان يكون نتيجة لارتكاب المعاصي، وعدم أداء الفرائض والبعد عن التمسك بهدي سيد الأنام. إن عائد الطاعة لله بلا شك لا يزيد في ملك الله. كما أن المعصية لا تنقص أي شيء من ملك الله؛ فعائد الطاعة تنمية لك واستثمار أعظم لصالحك؛ ولهذا قال الله سبحانه: ﴿ إِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْ ﴾[3] إن الإيمان يزيد في قلوب الذين يصلحون أنفسهم ويهذبونها، ويطهرون قلوبهم من الحقد والحسد، ويعمرون القلب بذكر الله أمناء على كل شيء لا يخونون ولا يكذبون ولا يغدرون؛ لهذا يزيد الإيمان في قلوبهم حسبما قال الله سبحانه وتعالى:

---

(١) سورة المجادلة الآية: ٧.

(٢) سورة الأنعام الآية: ١٤.

(٣) سورة الزمر الآية: ٧.

﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾ ﴾[1] إن أصحاب الإيمان القوي والعقيدة الصحيحة تجدهم غرباء بين الناس لأن أصحاب البدع يكثرون حولهم وتنتشر الخرافات وهم يجاهدون هؤلاء وهؤلاء. ومن هنا بين رسول الله ﷺ منزلة الغرباء في قوله ﷺ: «طوبى للغرباء، قلنا: ومن الغرباء يا رسول الله؟ قال: قوم صالحون قليل في ناس سوء يعصيهم أكثر من يطيعهم»[2]. إن الأتقياء غرباء لكن الله يتولاهم بالعناية والرعاية والدفاع عنهم؛ ولهذا قال ربنا سبحانه وتعالى: ﴿ ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾[3] ويقول سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ﴾[4] إن المسلم الحقيقي يعيش في مجتمعه في غربة، وهو لا يفارقه لأن حب الوطن من الإيمان ولا يهجر الناس لأنه مطلوب منه أن يقدم النصيحة؛ فالدين النصيحة لكنهم غرباء، وقد جاء ذلك في حديث لرسول الله ﷺ حيث قال لأصحابه «ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيتم شحًّا مطاعًا، وهوى متبعًا، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه؛ فعليك بخاصة نفسك ودع العوام، فإن من ورائكم أيامًا الصبر فيهن مثل القبض على الجمر، للعامل فيهن مثل خمسين رجلاً يعملون مثل عملكم. قيل: يا رسول الله أجر خمسين منا أو منهم؟ قال: بل منكم»[5] فمن يصلح نفسه بقراءة القرآن والتمسك بآدابه والتحلي بأخلاقه في زمن تكثر فيه الفتن يكون من الفائزين. قال عبد الله بن الصامت وهو صحابي جليل «يوشك إن طالت بك الحياة أن ترى الرجل قد قرأ القرآن على لسان محمد ﷺ فأعاده وأبداه وأحل حلاله وحرم حرامه، ونزل عند منازله لا

---

(١) سورة التوبة الآيتان: ١٢٤، ١٢٥.

(٢) مسند الإمام أحمد.

(٣) سورة البقرة الآية: ٢٥٧.

(٤) سورة الحج الآية: ٣٨.

(٥) رواه أبو داود والترمذي بسند حسن.

يجوز فيكم إلا كما يجوز فيكم الحمار الميت»[1] أي إن منزلة العالم القارئ للقرآن والعامل بالسنة ضائعة بين أهل زمان شغلتهم الأغاني وألهتهم التمثيليات؛ فانفضوا عن المساجد إلى السينما والحانات. ثم إن المعروف أصبح منكرًا، والسنة بدعة، وأهل البدع وتجار المخدرات يطمعون في أن يحتلوا المناصب المرموقة، ويجلسون على كراسي أهل التشريع، أما العلماء فيلقون كل عنت وإرهاق وتعنيف ولوم من أهل الباطل؛ لذلك فعمرهم قصير. ولا يزال أهل الحق في جهاد ومدافعة باللين والحكمة والموعظة الحسنة من أهل الشر حتى يقضي الله أمرًا؛ لهذا كان للإيمان القوي وأصحابه النصر في النهاية لأنه لا يصح إلا الصحيح، ودولة الحق إلى قيام الساعة. وصدق الله العظيم حين قال: ﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ ﴾[2].

إن أصحاب القلوب الطاهرة والنفوس التي سمت على الشهوات يضاعف الله لهم الأجر لأنهم مع قلتهم يتمسكون بالحق وإليه يدعون، فلهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لأن الله وليهم يخرجهم من الظلمات إلى النور، ويهدي قلوبهم، ويرزقهم الأمن النفسي والاجتماعي، وتطمئن قلوبهم بذكر الله القائل: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾[3] ويقول سبحانه: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾[4] وهؤلاء الذين يزيد الإيمان في قلوبهم ويقوى كلما استمعوا إلى آيات الله تتلى عليهم، ومارسوا العبادة التي فرضها الله عليهم، واستحضروا عظمة الله في نفوسهم فهم بكل هذه المقومات يزيد إيمانهم. ولهذا فإن الشيطان يهرب منهم ويفر من مجالسهم ولا يتعرض لهم، ولا يقترب من ساحتهم، ويصدق عليهم قول الله سبحانه: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ

---

(١) مسند الإمام أحمد.

(٢) سورة آل عمران الآيتان: ١٩٦ – ١٩٧.

(٣) سورة الأنعام الآية: ٨٢.

(٤) سورة الرعد الآية: ٢٨.

ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ﴾[1] ويقول ربنا سبحانه: ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَـٰذِهِۦٓ إِيمَـٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ۝١٢٤ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ ۝١٢٥ ﴾[2] إن القرآن الكريم حياة للروح، من جعله أمامه قاده إلى كل خير، ومن تلاه وعمل بأحكامه عاش في الدنيا سعيدًا، وعند الله محمودًا، وبين الناس وجيهًا، سمعته طيبة، يحيط به البهاء والأنوار. فإلى القرآن يا أمة القرآن حتى يذهب الخوف من نفوسكم، ويتحقق لكم الأمن، ويهيئ الله لكم من أمركم رشدًا، وترثوا الأرض وتعمروها بالعمل الجاد والإنتاج الجيد والابتكار في أسلوب الأداء. إن المؤمن يعمل لدنياه كأنه يعيش أبدًا، ويعمل لآخرته كأنه يموت غدًا. إن المؤمن لم يفرط في واجب لأنه جعل دنياه مطية لآخرته فأطاع ربه ووقف عند حدود الله. ثم أغنى نفسه عن الناس بالسعي على المعاش وطلب الحلال، وأخذ في الأسباب مع حسن الظن بالله والتوكل عليه، إن خير الناس من لم يترك آخرته لدنياه ولا دنياه لآخرته «فخير الأمور أوسطها» وخير الناس أنفعهم للناس»، فهم كما يقول القائل:

الله يعـــــرفهم عبـــــاد مـــــسجده

والنـــاس تعـــرفهم للخـــير أعوانـــا

(١) سورة الأنفال الآية: ٢.

(٢) سورة التوبة الآيتان: ١٢٤ – ١٢٥.

التائهـــون

ضعاف الإيمان تجدهم في ضلال وانحراف لذلك فهم تائهون في الحياة لا يعرفون لأنفسهم مستقرًا؛ فهم يعيشون في شتات وضياع لأن صلتهم بالله ضعيفة جدًا، لأنهم إذا أصابهم الضر لجئوا لغير الله واستنجدوا بغيره، واستغاثوا بمن لا يستطيع أن يدفع عن نفسه الأذى، ونحن أمرنا أن ننصح هؤلاء برفق ونبين لهم الحق باللين، ونشرح لهم أصول العقيدة الصحيحة؛ فإذا لم يستجيبوا ولم يقلعوا عن عصيانهم فعلينا أن نتعامل معهم في حدود تعاليم الشريعة بالحلم وسعة الصدر والتسامح، فإن لم يستجيبوا فعلينا أن نعرض عنهم ولا نجلس معهم، وفي هذا جاء التوجيه الإلهي: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُوا۟ بِمَا كَسَبُوا۟ ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ قُلْ أَنَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَأَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ ۚ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾﴾[1] فالذين اتبعوا الشيطان هم التائهون لذلك فهم على جرف يكاد أن ينهار بهم في نار جهنم، بسبب ضعف عقيدتهم، وتهاونهم في العمل بأمر الله، وهم يعيشون عالة على المجتمع، بهم وبسببهم تنتشر الأمراض ويصاب المجتمع بالعلل والوهن والضعف، وفيهم جاء قول رسول الله ﷺ: «سيكون في آخر الزمان ناس من أمتكم يحدثونكم بما لم

(١) سورة الأنعام الآيات: ٦٨ – ٧٢.

تسمعوا أنتم ولا آباؤكم فإياكم وإياهم»[1] وفيهم يقول الإمام على كرم الله وجهه: «يا أشباه الرجال ولا رجال ودون ربات الحجال...» وإليهم نسوق ما قاله ربنا: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾ يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُوا۟ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ ۚ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴿١٣﴾ ﴾[2] التائهون هم الذين لعب الشيطان بعقولهم وزين لهم أعمالهم وصدهم عن ذكر الله، وعن الصلاة.. وربما يقول قائل: إنهم يُصَلُّون.. نقول لهم: هم يصلون، لكن سلوكهم لا يتفق مع ما ترشد إليه الصلاة؛ فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ويكون مؤديها مهذبًا مؤدبًا عف اللسان لا يفسق ولا يخون ولا يغدر، يمشي في الشارع بخلق السماء، ويتطلع إلى السماء بحسن السعي على الأرض. إن المصلي الملتزم تجده كالوردة، لونها يسر الفؤاد وملمسها ناعم، ورائحتها طيبة تشرح الصدر وتسر النفس؛ ولهذا قال ربنا عن المصلين: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ ﴾[3] فالتائه بخلاف ذلك وقد عرفهم لنا ربنا بقوله: ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾[4] ويقول سبحانه: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾ ﴾[5] وهم كما قال عنهم ربنا سبحانه: ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ ﴾[6] إنهم تائهون في الحياة يتخبطون في ظلمات

---

(١) رواه الإمام مسلم.

(٢) سورة الحج الآيات: ١١ - ١٣.

(٣) سورة الفرقان الآية: ٦٣.

(٤) سورة النحل الآية: ٨٣.

(٥) سورة النساء الآية: ٦٣.

(٦) سورة النساء الآية: ١٠٨.

الغفلــة والجهــل حيث إنهم اتخذوا الشيطان إمامًا لهم، فقادهم إلى الهلاك والدمار وخراب الذمة وموت الضمير، وهم وصلوا إلى هذه الحالة لأنهم: ﴿ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾[1].

(١) سورة محمد الآية: ٢٨.

ظهورهم على الساحة

التائهون يظهرون على الساحة الاجتماعية ليضلوا الناس بحجة أنهم مسحورون، ويسألون عن السحر وأنواعه، والساحر وما يصنع. ويزعم بعضهم أنه سُحِر، لكن فلانًا شفاه بعمل عمله له وتميمة علقها تحت إبطه أو حجاب وضعه تحت رأسه إلى آخر ما هناك من أقاويل ما سمعنا بها في آبائنا الأولين. مثل «فلان الساحر كتب له حجابًا بدم هدهد يتيم»، فيرد الآخر ويقول: لا... دا فلان اللي أنا ماشي معاه عمل ليه عمل على أرموط سمك أرمل. وهكذا، ونسى هؤلاء أنه لا يمكن أبداً معرفة الهدهد اليتيم، ولا الأرموط السمك الأرمل، وهذا دليل كذبهم وافترائهم، ثم عليهم أن يعرفوا أن الشافي الحقيقي هو الله رب العالمين. وانظر إلى سيدنا إبراهيم عليه السلام وهو من هو في علو قدره ورفعة شأنه، وهو خليل الرحمن، لكنه مع هذا مهذب عف اللسان، ينسب الشيء إلى فاعله، فيقول كما حكى القرآن عنه: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾[1] من أجل هذا نؤكد على أن السحر نوع من اللعب بالأعصاب المضطربة، والسيطرة على النفوس الضعيفة، لأن أصل السحر التمويه بالحيل والتحايل. والسحر كله خداع وشعوذة، وإذا كان السحر صناعة علمية، فهو يعتمد على التأثير في نفس المسحور، لأنه يعتمد على خفة اليدين، وتلاوة كلام من عهود الشياطين وأسماء الجن؛ فيخيف من أمامه ويسيطر عليه. وهكذا كما سوف نرى.

(١) سورة الشعراء الآية: ٧٨ – ٨٢.

السحر وضعف الشخصية

السحر وتعلمه له مدارس؛ كل مدرسة لها منهج وأسلوب، وهذا من باب ترك الناس يتخبطون ولا يهتدون إلى الحق، وهذه الأنواع تدل على كثرة الدجالين وتنوع أساليبهم، والسحر عزائم وعقد ورقى بها يعتمد الساحر على إضعاف شخصية من أمامه ويؤثر بذلك فيه، ويصاب بالوهن والضعف والتخاذل.. ويرجع السبب إلى ضعف الإيمان عند هذا الشخص، وعدم الثقة في الله، علاوة على سرعة حركة الساحر وقدرته على التأثير بالوهم فيمن يتعامل معهم، والسحر في اللغة: هو شيء خفي يظهر له أثر في الواقع أحيانًا وهو يعتمد على:

الاستعانة بالشياطين بتلاوة كلمات ترضيهم يتقرب الساحر بها إليهم ويستحضرهم ليتمكن مَن يفعله من تغيير صورته وصوته وغير ذلك. ويستعين على هذا بقراءة العزائم وتسخير الشياطين.

خداع وتخيلات تعتمد على سرعة الحركة وإيهام البعض بالقدرة على التأثير فيه.. فيتأثر من يراهم ويسيطر عليه الوهم لأنه ضعيف الإيمان.

وهناك سحر يعتمد على سرعة الحركة وإذهال الناظرين وأخذ عيونهم، وإلى هذا أشار الحق سبحانه: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾[1].

يتم فيه استخدام خواص بعض المواد الكيماوية، وتركيب آلات خاصة، بنسب هندسية معينة، كما ذكر بعض المفسرين أن سحرة فرعون الذين حشدهم لمقابلة سيدنا موسى، وجاءوا بحبال وعصي حشوها زئبقًا، وجعلوا من أسفل الحبال والعصي حرارة خاصة؛ فصارت تتلوى بسبب ذلك فخيل إلى سيدنا موسى والناس، أن الحبال والعصي تتحرك وتسعى.

(١) سورة طه الآية: ٦٦.

سحر يعتمد على الوشاية، ونقل أخبار بعض العائلات إلى الساحر الذي يفبركها ويسعى بنقل أخبار ملفقة من عنده من القصص المدبلجة بمعرفته، ثم الإيقاع بين الناس والتحريش بينهم. وهذا النوع يعتمد على ذكاء القائم بهذا الأسلوب ولهم حيل في ذلك تتعدد بتعدد المواقف؛ فالساحر يبعث بأي شخص ليوهم شخصًا بأن فلانًا عمل له عملاً مدفونًا في القبر الفلاني ووكل به شيطانًا، ولكي تفك هذا العمل تروح للشيخ فلان، دا سره باتع وعمله لا يخيب. دا فلان كان معمول له عمل مكتوب بلبن النملة اللي تكلمت مع سيدنا سليمان، لكن هذا الشيخ فكه وبمثل هذه الخرافات والإفك يكون أسلوب الدجالين، ويستغلون في ذلك شخصيات لها وزنها الاجتماعي بعد تجنيدهم بأساليب دجل. وأذكر أنني كنت أسكن في حي ابن طولون في الستينيات، وفوجئنا في يوم بأن شخصًا نعرفه قتل زوجته، وتساءلنا كيف تم ذلك ونحن سمعنا أنه تزوجها على زوجته بعد قصة حب، وشهر العسل لم ينته بعد وكانت القصة التي عرفناها بعد ذلك هي: أن أحد الذين يمارسون السحر أرسل إلى الزوجة الأولى يسألها.. إنتي بتحبي زوجك وعايزاه يرجعلك ويسيب الثانية؟ - الزوجة الأولى: نعم. الوسيط: السعر غالٍ، الزوجة الأولى: وأنا دفاعة. الوسيط: هاتي المقدم – عبارة عن قطعة ذهب «غويشة» ومبلغ ٢٠٠ جنيه (مائتي جنيه).

وأسرعت الزوجة بخلع عويشة ذهب وإحضار المبلغ. الوسيط ذهب مسرعًا للساحر، الذي خطط وبسرعة ولم يضع الوقت، اختار وسيطًا آخر للزوجة الثانية وأرسل به إليها، وأفهمها بأن الزوجة الأولى عملت لإرجاع زوجها، وعلشان نفك لك العمل عايزين مائتي جنيه، وأسرعت الزوجة الثانية بدفع المبلغ. أسرع الساحر إلى الزوجة الأولى يطلب مبلغ مائتي جنيه أخرى، لأن العملية صعبة جدًا، والأسياد معصلجين، ولا بد من استرضائهم، ودفعت الزوجة الأولى. فكر الساحر وأرسل إلى الزوجة الجديدة يطلب منها شعرا من زوجها بحيث يكون من شنبه ولما سألت كيف أحصل على ذلك؟؟ أعطاها مقصًا جديدًا وقال لها: وزوجك نائم مستغرق في نومه خذي بهذا المقص من شنبه ولو ثلاث شعرات،

فرحت الزوجة الثانية بذلك: ذهب الساحر بنفسه إلى الرجل وأفهمه بأن زوجته الثانية عملت له عملاً، وإذا لم يفلح ولم يتأثر بذلك ستقوم بقتله يوم كذا. ولما سأله من أين عرفت؟ قال: إن زوجتك الثانية تحب شابًا في مثل عمرها وتريد أن تتخلص منك، وأنا لما اطلعت على برجك وقرأت نجمك تحققت من ذلك. فخذ حذرك وأعطني ثمن تعبي في قراءة النجوم والكواكب بسببك، فأعطاه الرجل ٥٠٠ (خمسمائة) جنيه – في اليوم المحدد تناوم الرجل وأوهم زوجته أنه في غاية التعب وفي حاجة إلى الهدوء والسكون ليستغرق في النوم لأن عملاً ضخمًا سيقوم به في الغد، كانت الزوجة تنادي عليه بين الحين والحين فلا يرد عليها لأنه يتصنع النوم؛ فقامت الزوجة تمشي على أطراف أقدامها، وأحضرت المقص، وعلى أطراف أصابعها توجهت إلى زوجها، وهمت بأخذ الشعر من شنبه، وإذا بالزوج يجلس ويتهمها بالخيانة والخداع ثم القتل، وأخذ منها المقص، وفي حالة هياج طعنها بالمقص في قلبها، وفارقت الحياة على الفور.. وكما يقال موت وخراب ديار.. ومين اللي كسب؟! هذا هو أسلوب الدجالين والمشعوذين والسحرة والأفاكين.

إن السحرة يفعلون أي شيء في سبيل تحقيق مآربهم، وهناك قصة أخرى لامرأة أخرى تتلخص في أن البنت بلغ سنها ٣٠ (ثلاثين سنة) وأمها تريد أن تفرح بها وعايزاها تتزوج، ووقعت في يد أحد الوسطاء الذي أفهمها بأن الشيخ فلان سره باتع وعمله ما ينزلش الأرض، واستجابت المرأة وذهبت إلى الشيخ، ودفعت الكشف، وكان عبارة عن خمسة جنيهات؛ فوجدت الساحر يجلس وحوله البخور، وسمعت بعض الأصوات التي لم تميزها، ثم أفهمها بأن الأسياد يطلبون إحضار الفتاة بنفسها. وحضرت في الموعد المحدد. وكانت الفتاة جميلة، ورآها الشيخ من وراء ستار، فأفهم الوسيط أن يفهم الأم أنه لا يجوز دخول اثنين في وقت واحد، ودخلت الفتاة لوحدها، وكانت الأم تجلس مع الناس لكن مشاعرها وأحاسيسها وأذنها على الغرفة التي بداخلها الشيخ الذي كان قد أفهم الفتاة بأن الأسياد سيعملون لها حجابًا، واشترطوا أن يكون الذي يكتب به الحجاب من ماء رجل صب على

فرجها، ووافقت الفتاة التي هي مخدرة الأعصاب، مغيبة الوعي، بما صبه في أذنها من عبارات، وعندما افترسها الوحش الغادر صدرت منها رنة ألم بصوت خافت التقطتها أذن الأم التي هاجت واقتحمت الغرفة، وشاهدت المنظر الذي ضاع فيه عفاف ابنتها، وأطبقت على رقبة الساحر ولم يخلصه إلا كثرة الواقفين حولها، والتقطت أذنها بعض العبارات: كلنا جرى لنا كده، وهنعمل إيه مع الأسياد اللي عايزين كده؟! لكن المرأة أسرعت إلى قسم الشرطة الذي حضر ضباطه وجمعوا ما في الغرفة واقتادوا الدجال إلى القسم، وقبل أن يزج به في السجن، تبين أنه اعتدى على أكثر من خمسين فتاة حالتهم مثل هذا الموضوع؛ فقالت الشرطة: وماذا نصنع في هذا العدد، هذه عينات لعل الناس تدرك خطورة هذا النوع من التعامل مع مثل هؤلاء الدجالين. ولهذا نؤكد على أن السحر والإيمان بالله لا يجتمعان في قلب إنسان أبدًا.

السحر قرين الإنسانية

والسحر عرفته الإنسانية منذ بدء تكوين المجتمعات وهو متعدد الخواص- كالدقة والرقة والقوة والتأثير، ولهذا قال الله في شأن السحرة: ﴿ قَالَ أَلْقُوا۟ ۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴾[1].

وسمي السحور سحورًا لأنه يقع في منتصف الليل مستتراً لا يراه الناس، ثم إن كل شيء جميل يسمى سحرًا، لأنه يشد انتباه أي شخص، ولهذا قال العرب عن سيدنا رسول الله ﷺ بأنه ساحر، وقالوا عن القرآن بأنه سحر، لأنه أثر في نفوسهم واستولى على عقولهم؛ فقالوا كما حكى القرآن: ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾[2] كما قال الله سبحانه مبينًا لنا ما يقوله هؤلاء: ﴿ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾[3]. ويقول: ﴿ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴾[4]، وقالوا عن الكلام الموزون والخطب المؤثرة لحسن بلاغتها ونسق كلماتها ووضوح معانيها «إن من البيان لسحرا». إن عقيدة السحر سيطرت على كثير من الناس في مختلف الأزمان والبلاد، ولهذا فقد أنشئت مدارس لتعليم السحر بجوار المعابد؛ لإضفاء صفة القدسية عليها. وكان بعض الفراعنة يعدون من مفاخرهم وضع مدارس تعلم السحر تحت رعايتهم، وإن الطالب الذي يكرس حياته لتعلم السحر وينبغ فيه يمنح درجة أدبية، وينال من المال ما يؤهله لعيشة الأمراء والقادة. ولم يكن تعلم السحر وقفًا على الذكور، بل إن الأنثى كذلك كانت تتعلم هذا النوع ويتم لها الاطلاع على الكتب الإلهية ومعرفة أسرار الكون، وتستطيع «حسب زعمهم» أن تسيطر على القوى المحركة للوجود وإخضاعها لهواها ودفع عناصر الشر عمن تشاء. ولقد

(١) سورة الأعراف الآية: ١١٦.

(٢) سورة يونس الآية: ٧٦.

(٣) سورة هود الآية: ٧.

(٤) سورة القمر الآية: ٢.

أطلق الرومان اسم «معبودة السحرة» وربة السحرة على «إيزيس» التي اعتبروها حامية السحر ومعلميه ومتعلميه.

كما أن بعض الرسومات في المعابد المصرية والتماثيل تظهر الملكة وهي تضع ذراعها على كتف الملك أو خلف ظهره.. وعللوا ذلك بأن الملكة تعلمت السحر، لذلك فهي ملازمة للملك في زياراته الميدانية لمرافق الدولة، أو في زيارته المعابد وتجلس بجواره على كرسي العرش، لتحافظ عليه من السحرة، في نفس الوقت تتصدر تاجه رسم الأفعى، تحميه من كل عين شريرة تحاول أن تحسده، وكذلك تحميه من أعدائه، وتحقق له النصر عليهم. ولقد دخل السحر في حياتهم الدينية والدنيوية وأصبحوا يستعملونه في كل أمر من أمور حياتهم ويستعينون به في كل شأن من شئون حياتهم. ثم إنهم مارسوا السحر بكل أنواعه وكافة اتجاهاته. مثل.. تعليق الحجاب تحت الإبط أو تحت الرأس في مكان النوم وهو مليء بالطلاسم.. وقراءة التعاويذ.. والتعزيم بكلمات مبهمة لتحريك الشياطين، ومزاولة الحركات البهلوانية، ويعبرون عنها بأنها طقوس السحر، وتعليق الأحجبة والتنجيم، وقراءة الطالع وقراءة الكف، وضرب الودع وقراءة الفنجان وتبييت الأثر، والربط بين الفلك وتحضير الأرواح كما هو الآن، مثل حظك هذا اليوم، وبختك هذا اليوم وتتبع قراءة البرج، وفتح المندل الذي يفعله الآن بعض الناس، له أثر عند من مارسوا السحر قديمًا، حيث إنهم كانوا يملئون وعاء.. ماء.. ثم يغطى بطبقة من الزيت، ثم يجلس الساحر يتلو عليه التراتيم والتعاويذ فيظهر عليه الإله «حورس» - على حسب زعمهم - ويعكس على وجه هذا الطبق بعض الصور ويسأل المنجم أو الساحر عن الشيء المسروق أو الحبيب المهاجر. أو... أو... إلى آخر ما يحلو لهم.. وتحضير الأرواح في زماننا هذا يظهر بين الحين والحين، ويتبنى هذا الموضوع شخصية أدبية، أو ثري، أو غير ذلك؛ مما يدل على تواصل الأجيال في الخرافات والخزعبلات. وهناك النفاثات في العقد، وقد أمرنا الله أن نستعيذ منهن لأنهن سواحر يعقدن العقد وينفثن في كل عقدة فقال الله مبينًا لنا شرهم: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ

﴿إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾[1] ولا شك أن هناك أمورًا تستجد وتستجد معها مسميات جديدة لكن لها ارتباط بمسيرة الدجل والخرافات في حياة البشر فعلينا أن نتنبه إلى أنه تتعدد الأسماء والحكم واحد.

(١) سورة الفلق.

معارف قديمة

إن السحر قرين الإنسانية، عرفته منذ قدم العصور، ولم يستطع المؤرخون أن يحددوا مبدأ ظهوره. ويقولون بأن السحر أول ما ظهر في مصر أنشئت له مدارس بجوار مدارس الكهنوت فقد كان ملوك الفراعنة يعدون من مفاخرهم وضع تلك المدارس تحت عنايتهم، ويشملونها برعايتهم، «فنجد مثلاً – «سنفرو»، و«خوفو» ضما إلى ألقابهما لقب «رئيس السحرة» وكان الطالب الذي يكرس حياته لدراسة السحر ويحصل على درجات التفوق والنبوغ يحمل لقب «شرحب» أي الدارس الذي عرف أسرار الكون، واطلع على الكتب الإلهية، ورضي عنه الإله «تحوت» ومنحه ما يمكنه من معرفة الأسرار التي بها يستطيع السيطرة على القوى المحركة للوجود، ودفع عناصر الشر، وإخضاع ذلك لصالح البشر. وكان من يمنح ذلك يختبر بين الحين والحين أمام فرعون فإذا ظهر نبوغه أمر له بمكافأة، ثم يعطى تصريحًا بممارسة السحر رسميًا، ولقد تعددت مدارس السحر في مصر، ففي عين شمس كانت جامعة «أون»، «أوبيدوس»، وفي أخميم في الوجه القبلي كان معبد «خنت مين»، «وسايس» و«طيبة» و«سيوة» ثم ظهرت مدارس في الإسكندرية ودندرة، ثم ظهرت في عهد البطالسة مدارس ومعابد «إيزيس»، وكانت حامية للسحر والسحرة، وقد أطلق عليها الرومان «إلهة رب السحر ومعبودة السحرة» وقد سيطرت عقيدة السحر على قدماء المصريين كسيطرة العقائد الدينية؛ فكانوا يستعينون بالسحرة في كل شئونهم. والسحرة كانوا يمارسون أنواع السحر بمختلف صوره التي عرفها العالم، مثل «التعاويذ» «والتعزيم» وكتابة الأحجبة «الرقى» «التمائم»، كما مارسوا تحضير الأرواح، قراءة الطالع، البروج السماوية، قراءة الكف، كشف الغيب عن طريق وعاء حورس المقدس، وهو وعاء يملأ بالماء ويغطى بطبقة من الزيت يتلو عليه الساحر تعاويذه الخاصة؛ فيظهر الإله حورس على شكل ضوء على سطح

الزيت ويعكس على السطح صورة ما يسأله الرائي عن بعض الأمور الغيبية وعن الأشياء المسروقة ومن السارق، أو أين خبأها، ويكشف الأسرار، وهذا ما يسمى في عهدنا «بالمندل» وكل هذا التعدد ليجد كل شخص بغيته، ويذهب إلى من يستريح للتعامل معه.

معبدا هليوبوليس ومنف

هما معبدان من المعابد الكبيرة، حكت عنهما بردية «روستكار» وكان في الأسرة الخامسة يذكر شيئًا عن السحرة من الكهنة وأفعالهم؛ حيث كان الكاهن «جدي» أحد سحرة معبد هيليوبوليس، يجمع بعض الطيور ويدخل بها في القاعة الكبرى التي يجلس فيها فرعون ويقوم بقطع رءوس الطيور، ثم يتلو عليها تعازيم سحرية؛ فتلتحم الرءوس بأجساد الطيور، ثم تحلق في الغرفة وهي تصيح.

نفس الكاهن أحضر ثورًا كبيرًا وقطع رأسه فسقط على الأرض وهو يخور ثم تلا عليه عزائمه السحرية، والعجب أن الملك وحاشيته وأولاده يجلسون ويشاهدون، والثور بعد قطع رأسه يقوم ويخرج خلف الساحر الذي ما زال يقرأ الترانيم. ويذكرون بأن سيدنا إبراهيم «عليه السلام» أقام في هذا المعبد بعض الوقت خلال فترة تواجده في مصر ودرس الكثير من أسرارهم. وفي منف حيث معبد «بتاح» اشتهر كهنته بعملية الاختفاء والإخفاء؛ حيث كان الكاهن يحمل تميمة أطلق عليها اسم «عصا بتاح السحرية» ثم يقرأ بعض التعاويذ فيختفي بجسمه عن العيون. وأحيانًا يظهر في وسط غرفة مغلقة يفاجئ الجلوس فيها بتواجده معهم. وبعض الكهنة لديه القدرة على إخفاء بعض الأشياء الموجودة أمام الناس بالقاعة، وبعضهم لديه القدرة على فتح الخزائن السرية وأخذ أشياء منها. أما سحرة معبد آمون «بسيوة» فقد اشتهروا بتحريك تمثال آمون من مكانه، وتطرح عليه الأسئلة فيجيب عنها، ويقولون بأن الإسكندر الأكبر زاره وأجروا أمامه طرح بعض الأسئلة وسمع الإجابة عنها.

ويزعمون بأن التمثال تحرك وأومأ برأسه وأشار للإسكندر برفع يديه ثم وجه إليه الكلام قائلاً له: «إنك ابني وقد أعطيتك الشجاعة وأمرتك أن تحضر دائمًا لزيارتي، وقد منحتك السيطرة على كل البلاد». ومن هنا أله المصريون الإسكندر واعتبروه ابنا لآمون. «ولا شك أن الشيطان وراء كل ذلك» وهو أوهام وتخيلات. وفي منف أيضًا كان هناك معبد آخر

لآمون، ساحره العظيم يسمى «جاجام عنخ» يحكي «وستكار» وهو كاتب بردية، ذكر فيها قصة الأميرة (مروي) التي خرجت تتنزه مع الملك «سنفرو» وقد ركب وإياها سفينة ذات مقصورة ذهبية والذي قام بالتجديف عشرون وصيفة من أجمل بنات القصر يتميزن بالحسن الرائع والجمال الفائق، ولا يستر أجسادهن إلا غلالات من شباك الصيد، وهناك أنغام القيثارة تصل إلى أذن الجميع حتى العبيد، والقمر يرسل بأشعته الرائعة؛ فيكسب المكان جمالاً على جمال، وبينما الأميرة تأخذ من ماء البحيرة بيدها، وتنظر إلى جمال وجهها وهي معجبة بنفسها، لأن وجهها على وجه الماء مع ضوء القمر زادها حسنًا؛ فكانت في نشوة غامرة، وتحركت وتمايلت وهي مسلوبة اللب، مبهورة بهذا المنظر الرائع؛ إذ سقط قرطها في البحر، وكان على شكل سمكة من الذهب الخالص المحلي بالفيروز، وتغير الموقف وظهر الحزن على وجه الأميرة، وانقلب الوضع؛ فقال لها «سنفرو»: لا تراعي واستدعى الساحر «جاجام عنخ» فتلا عزائمه السحرية وضرب سطح الماء بعصا، ويزعمون أن البحر انشق وانكشف قاع البحر ووقف الماء وظهر القرط، وأن الأمير «سنفرو» التقطه بنفسه وسلمه للأميرة التي فرحت وعادت إليها البهجة وظهر السرور عليها أمام الساحر «جاجام عنخ» الذي رضي عنه الأمير ومنحه مكافأة كبيرة وعينه ساحرًا خاصًا لقصره، ومنحه امتيازات كثيرة.

إن الذي يقرأ البرديات يعيش في خيال، كأنه يقرأ ألف ليلة وليلة، وإن من البيان لسحرًا؛ فسحرونا بالبيان، حتى كدنا نصدق ونقع في سحر بيانهم، ونلغي عقولنا – لماذا؟ لأن الحق سبحانه وهو أصدق القائلين بين لنا أن السحر وهم وخداع وتمويه فقال سبحانه: ﴿ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ ﴾[1][2].

(١) سورة طه الآية: ٦٩.

(٢) يراجع في ذلك جولات في رحاب التاريخ لمؤلفه حسين فوزي والصادر عن مكتبة الأسرة عام ١٩٩٧. الهيئة المصرية العامة للكتاب.

ما هو السحر؟

الحكم على الشيء فرع من تصوره. ولكي نحكم على السحر؛ فعلينا أن نتصوره وأن نتعرف عليه؛ ما حقيقته؟ وما هو؟ وما تأثيره؟ حتى يكون حكمنا صحيحًا لما قرأناه، قبل؛ فالسحر هو شعوذة وتمويه وحيل، وعزائم وعقد ورقى، يعتمد على الخداع والتخيلات والاستعانة بالشياطين وتسخيرهم والتقرب إليهم بما يرضيهم حتى يستحضرهم الساحر في الوقت المناسب، ويطلب منهم ما يشاء. وللعرب في السحر خيال واسع فكانوا يعتقدون أن السحر يقلب الأعيان وأطلقوا السحر على الخديعة. وقال شاعرهم لبيد:

فإن تسألينا فيم نحن فإننا عصافير من هذا الأنام المسحر

وقالت قريش لما رأوا معجزات النبي ﷺ «إنه ساحر» وقد عبر القرآن عن ذلك كما ذكر ربنا جل جلاله: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝﴾[1]. وذكروا أنه كان عند الوليد بن عقبة ساحر، واجتمع الناس عليه وكان بارعًا في حيله وألاعيبه، وأنه كان يضرب رأس الرجل ثم يصيح به ويعزم فيعود إلى حالته التي كان عليها، وأن رجلاً من الصالحين رآه فخاف على الناس أن يفتنوا به، وفي يوم كان الساحر يلعب والناس في شدة الانبهار؛ فأخذ هذا الرجل سيفه وضرب الساحر على عنقه، ووقع على الأرض؛ فقال الرجل الصالح إن كان صادقًا فليعد كما كان خاصة وأن روحه ما زالت في جسده، ثم تلا الرجل قول الله تعالى: ﴿أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾[2].

ثم إننا لم نسمع أبدًا أن أحد الصحابة طار في الهواء، ولا أكل زجاجًا، ولا أشعل النار في فمه، ولا ابتلع ثعبانًا، لأن هذه كلها أعمال بهلوانية مبنية على الخداع والتمويه وصدق الله العظيم في قوله: ﴿قَالَ أَلْقُوا۟ ۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ

(١) سورة القمر الآية: ١، ٢.

(٢) سورة الأنبياء الآية: ٣.

عَظِيمٍ ﴿٢٢﴾ ﴾[1] وكل هذا مبني على التخيل والألاعيب ولهذا قال الله سبحانه.. في سحرة موسى: ﴿ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴾[2]. إن السحر تمويه وتخيل ووهم. ولذلك تقول العرب «عنز مسحورة» إذا عظم ضرعها وقل لبنها أي ينخدع الإنسان في كبر حجم ضرعها، بينما لا لبن فيها – والإنسان إذا مرض بمرض لا يعرف سببه نسبوه إلى السحر – ولذلك قال الشاعر:

فـــوالله مـــا أدري وإني لـــصادق أداء عـــراني مـــن حبابـــك أم ســـحر

فالشاعر يقسم بأن المرض الذي ألم به لا يعلم هل هو من حبه لحبيبته أم هو سحر انتابه. ويجدر بنا أن نقف لنتعرف على السحر كما جاء في قواميس اللغة العربية.

(١) سورة الأعراف الآية: ١١٦.

(٢) سورة طه الآية: ٦٦.

تعريف السحر

قال في مختار الصحاح[1]:

(السحر) كل ما لطف مأخذه، ودق، فهو سحر و(سحره) أي خدعه.

وقال في المعجم الوسيط[2]:

(السحر) كل أمر يخفي سببه ويتخيل على غير حقيقته ويجري مجرى التمويه والخداع.

وقال في القاموس المحيط[3]:

(السحر) كل ما لطف مأخذه ودق.

وقال الأزهري[4]:

(السحر) هو عمل يتقرب به من يباشره إلى الشيطان وبمعونة منه – وقال أيضًا: أصل السحر صرف الشيء عن حقيقته إلى غيره، فكأن الساحر يبني رأيه الباطل ويبينه في صورة الحق (ويتخيل الرائي) الشيء على غير حقيقته لهذا يقال سحر الشيء عن وجهه (أي صرفه عنه).

---

(١) مختار الصحاح ص ١٢٢.

(٢) المعجم الوسيط ج ١ – ص ٤١٩.

(٣) القاموس المحيط ج ٢ – ص ٤٥.

(٤) لسان العرب ج ٤ – ص ٣٤٨.

من أقوال العلماء

يقول ابن خلدون رحمه الله[1]:

السحر إنما يكون بالتوجه إلى الاستعانة بالشياطين، وذلك عن طريق تتبع الأفلاك والكواكب والعوالم العلوية، والتقرب إلى الشياطين بكل أنواع التعظيم والعبادة والخضوع والتذلل، وكل ذلك من الأشياء الفاسدة التي تؤدي إلى الكفر والطرد من رحمة الله؛ لهذا كان السحر كفرًا، وتعلمه والتصديق به وممارسته كفر.

وقال القرطبي رحمه الله[2]:

ذكر الغزنوي الحنفي في عيون المعاني (إن السحر أصله طلاسم يبنى على تأثير الكواكب، كتأثير الشمس في زئبق عصي سحرة فرعون، أو تعظيم الشياطين ليسهلوا ما عسر. ثم قال: إن من السحر ما يكون بخفة اليد كالشعوذة، ومنه ما يكون كلامًا يحفظ، وقد يكون من عهود الشياطين، ويكون بنوع من الأدوية واستعمال الأدخنة وغير ذلك).

وقال العلامة ابن قدامة في المغني[3]:

السحر هو عقد ورقى، وكلام يتكلم به أو يكتب، أو يعمل شيئًا يؤثر في بدن المسحور أو قلبه أو عقله من غير مباشرة له، وله حقيقة، فمنه ما يقتل وما يُمْرض، وما يأخذ الرجل عن امرأته فيمنعه وطأها، ومنه ما يفرق بين المرء وزوجه، وما يُبغض أحدهما إلى الآخر، أو يحبب بين اثنين.

---

(١) المقدمة لابن خلدون ص ٤٩٧.

(٢) الجامع لأحكام القرآن جـ ٢ ص ٤٤.

(٣) المغني لابن قدامة جـ ١٠ ص ١٠٤.

وقال في فتح المجيد[1]:

قال في الكافي: السحر عزائم ورقي وعقد، يؤثر في القلوب والأبدان، فيمرض ويقتل ويفرق بين المرء وزوجه، وقد قال الله تعالى: ﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[2].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:

والإنسان إذا فسدت نفسه أو مزاجه، يشتهي ما يضره، ويتلذذ به ويعشق ذلك عشقًا يفسد عقله ودينه ويضيع ماله. والشيطان نفسه خبيث، فإذا تقرب إليه صاحب العزائم بما يرضيه وبما يحبه من الكفر والشرك صار ذلك كالرشوة للشياطين، فيقضون له بعض أغراضه كمن يعطي غيره مالاً ليقتل له أو يعينه على فاحشة، أو ينال معه فاحشة. ولهذا فإن كثيرًا من أعمالهم يكتبون فيها كلام الله عز وجل بالمقلوب، ويكتبون حروف الفاتحة و﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ﴾ وغيرهما بنجاسة كدم الحيض، أو يكتبونها بالمقلوب، وإما بغير نجاسة مما يرضاه الشيطان، ويتخذ الدجال والساحر صديقاً. فإذا قالوا أو كتبوا ما ترضاه الشياطين أعانتهم على بعض أغراضهم. إما بتغوير ماء من المياه، وإما أن يحمل في الهواء إلى بعض الأمكنة، وإما أن يأتيه بمال من أموال بعض الناس من الفسقة واللصوص، لأن الشياطين تسرق من أموال الخائنين الغشاشين المزورين، وكذلك الذين لم يذكروا اسم الله على أموالهم، وتأتي بهذا المال إلى الدجالين وإلى غير ذلك.

---

(١) فتح المجيد ص ٢٨٥.

(٢) سورة البقرة الآية: ١٠٢.

وأعرف في كل نوع من هذه الأنواع من الأمور المعينة من وقعت له مما يطول حكايته عنهم فإنها كثيرة جداً) أ. هـ[1].

مما سبق يتبين أن طريقة السحر عبارة عن عقد شِركي كُفري يقوم الساحر بموجبه بأمور ترضي الشيطان، من تعظيم له، وذبح لغير الله، واستعانة بكبراء الجن ومردتهم، وسب لدين الله، وامتهان للقرآن الكريم، وبغض لسنة سيدنا محمد ﷺ، إلى غير ذلك من أمور تبعد الشخص عن ربه وتقربه من الشيطان اللعين.

ولهذا فإن الساحر منهم يطلب من الشياطين أن يفعلوا كذا أو كذا فيقومون بتلبية طلبه أو يحققون له بعضه. والناظر في الطلاسم والأعمال التي يقوم بها السحرة يجدها كما أسلفت أفعالاً، وأقوالاً شِركية أو كُفرية فمنهم من يكتب ألفاظ القرآن مقلوبة، أو يكتب بعض كلمات القرآن ويدرج بينها حروفًا مقطعة، أو رموزًا للشياطين والكواكب، أو أسماء لبعض مردة الجن، فإذا قدر الله سبحانه وتعالى نفعًا أو ضرًا لإنسان كان، وإن لم يشأ لم يكن مصداقًا لقوله تعالى: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾[2].

(١) كتاب الجن لابن تيمية ص ٢٩.

(٢) سورة البقرة الآية: ١٠٢.

السحر فنون

الساحر له أسلوب في تعلمه وممارسته وطريقة في أدائه وفنون يمارسها البعض، وللسحر ضروبه وأنواعه؛ مما دفع باليهود أن يلهثوا وراءه ويتعلموه ويتركوا كتاب الله وراء ظهورهم من أجله بل كتبوا بأيديهم كتبًا أحلوا فيها السحر والترغيب في تعلمه ثم زعموا أنها من عند اللهَ وهو الذي فضح أمرهم وبين لنا بعض جرائمهم وقال سبحانه: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾[1]. والسحر أنواع، وهو يعتمد على الأساليب التعليمية وقلة قليلة هي التي تعرف السحر على أصوله، لأن الساحر يعتمد على أساليب من بينها السيطرة على نفوس من يقصدهم ليعمل لهم الأعمال. ومن أنواع السحر الاستعانة بعالم الجن، ومن السحرة من يعتمد على المهارة في بعض العلوم، يظنها الجهلة سحرًا، لأن الساحر يدخل اللبس على العيون والأبصار، ومنه ما يكون أثرًا على استعمال بعض الكيماويات، وكذلك استغلال جهل بعض الأشخاص وضعف نفوسهم، واهتزازًا عصبيا عند الآخرين، وتوترا، ومنه ما يكون قلبًا وتغيرًا للأشياء؛ فيكون أمرًا غريبًا يشبه الأمر الخارق للعادة، وليس كذلك لأنه يمارس ما تعلمه، ثم يجري تجاربه، ويستعين على تحقيقها باستخدامه للشيطان بعد مدحه وترديد ألفاظ الشرف التي ترضيه. وقد يتقرب الساحر إلى الشيطان بعبادة الكواكب، واستحسان كل ما يوجب التقرب إليه، ولهذا كانت نفس الساحر خبيثة شريرة تعيش على ارتكاب الفواحش، وإتيان الرذائل وفعل كل شيء قبيح، ولهذا ضرب الله مثلاً على السحر بأن من يمارسه يفرق به بين المرء وزوجه، إشارة إلى فظاعة هذا الفعل وغلظة قلب فاعله وموت ضميره، لأن الشيطان يفرح جدًا بأي خلاف ينشأ بين زوجين، لما يترتب على ذلك من فتح أبواب كثيرة من الشر، فأيمان الطلاق تتردد والأولاد يشردون ويُهْمَل

(١) سورة البقرة الآية: ٧٩.

شأنهم وكل من الزوجين يتمسك برأيه ويتعصب التعصب البغيض؛ ولهذا ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن الشيطان ليضع عرشه على الماء، ثم يبعث سراياه للناس، فأقربهم منه منزلة أعظمه عنده فتنة، يجيء أحدهم فيقول: ما زلت بفلان حتى تركته وهو يقول: كذا، وكذا فيقول إبليس: «لا» والله ما صنعت شيئًا «ويجيء أحدهم فيقول: ما تركته حتى فرقت بينه وبين أهله. قال: فيقربه ويدنيه ويلتزمه ويقول: نعم أنت»[1].

(١) رواه مسلم.

حصِّن نفسك

وإذا كان السحر قد نشأ مع الإنسانية وتطورت أساليبه وتعددت أنواعه، فإن الشيطان الرجيم وراء كل ذلك، لأنه يُعلم أصدقاءه من الإنس من الأساليب ما يتلاءم مع التقدم الفكري والنمو العقلي والازدياد السكاني.. ما يكون سببًا في إقناع الجهلة بهذا النوع، ولهذا نبهنا ربنا جل في علاه بأن الشيطان لنا عدو مبين. والحق سبحانه وتعالى يبين لنا أن يوم القيامة آت لا ريب فيه، وفي هذا اليوم يكون هناك عتاب بين الإنس والجن ممن تعلموا الفساد من بعضهم، وأن كل فريق يرمي بالتهمة على الفريق الآخر، ويحكي لنا القرآن هذا الموقف فيقول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾[1] وهؤلاء الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا يرمون بجريمة إضلالهم على الشيطان الملعون السفيه الأول في الكون كله، وهذا ما قاله فريق من الجن، فقد قالوا كما حكي القرآن على لسانهم: ﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ ﴾[2] لذلك يقول هذا السفيه ردًا على ذلك ليبرئ نفسه ويبعد تهمة الإضلال عنه: ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾[3]. هذا موقف الشيطان الذي له في الدنيا – بيتان- بيت أصغر وهو جسم الإنسان؛ فالشيطان يتخذ جسم

(١) سورة الأنعام الآية: ١٢٨.

(٢) سورة الجن الآية: ٤.

(٣) سورة إبراهيم الآية: ٢٢.

الإنسان بيتًا له حيث ينام على أنفه ويلتقم قلبه ويبول في أذنه؛ فقد ورد عن ابن مسعود ﷺ أنه ذكر عند رسول الله ﷺ رجُلاً نام ليلة حتى أصبح فقال ﷺ: «ذاك رجل بال الشيطان في أذنيه»[١] وبال في كذا أي أفسده؛ فهذا كناية عن استيلاء الشيطان عليه واستخفافه به وإفساده له وفي حديث رواه أبو هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد، يضرب على كل عقدة؛ عليك ليل طويل فارقد. فإذا استيقظ فذكر الله انحلت عقدة، فإن توضأ انحلت عقدة، فإن صلى انحلت عقدة فأصبح نشيطًا طيب النفس، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان»[٢] ويقول عليه الصلاة والسلام «إذا استيقظ أحدكم من منامه فتوضأ فليستنثر ثلاثًا فإن الشيطان قد بات على خيشومه»[٣] فالشيطان يحاول أن يجعل الإنسان بيته يستولي عليه ويوجهه حتى يكون من تلاميذه، والشيطان يعتبر الإنسان تلميذه؛ لذلك فهو لا يفارقه أبدًا حتى إذا دخل دورة المياه فإنه يحاول أن يلعب بمقعده من باب السخرية منه والاستهانة به، ففي الحديث الشريف «من أتى الغائط فليستتر فإن لم يجد إلا أن يجمع كثيبًا فليستدبره؛ فإن الشيطان يلعب بمقاعد ابن آدم، من فعل ذلك فقد أحسن ومن لا يفعل فلا حرج»[٤] المهم أن الإنسان لا يرفع ثيابه إلا عند دخول دورة المياه والاقتراب من مكان قضاء الحاجة وهو يتعوذ بقوله «بسم الله اللهم إني أعوذ بك من الخُبث والخبائث»[٥] والخبث ذكور الشياطين والخبائث إناثهم. كذلك إذا خلع الإنسان ملابسه عليه أن يردد ما علمنا إياه رسول الله ﷺ «ستر ما بين أعين الجن وعورات بني آدم أن يقول المسلم: بسم الله الذي لا إله إلا هو»[٦].

---

(١) حديث متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

(٣) البخاري ومسلم.

(٤) رواه أبو داود.

(٥) رواه البخاري.

(٦) رواه الإمام أحمد.

والبيت الثاني للشيطان - وهو بيت كبير - منزلك أيها الإنسان لأن الشيطان أخذ على نفسه عهدًا أن يلاحق ابن آدم في كل طريق وفي أي مكان حيث قال في تبجح: ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ١٧﴾[1] ولما كان الشيطان يحتل بيتك وأنت لا تراه، وهو يراك؛ فتحصن منه بقوة الإيمان وبذكر الله سبحانه؛ ولذا علمنا رسول الله ﷺ ما يأتي: عند دخول المنزل نقول ما وجهنا إليه رسول الله عليه الصلاة والسلام «إذا دخل الرجل بيته فذكر الله حين يدخل وحين يطعم قال الشيطان: لا مبيت لكم ولا عشاء ها هنا.. وإن دخل ولم يذكر الله عند دخوله.. قال: أدركتم المبيت.. وإن لم يذكر اسم الله عند طعامه قال: أدركتم المبيت والعشاء»[2] وينبه الرسول ﷺ المسلمين بأنه «إذا جنح الليل.. فكفوا صبيانكم فإن الشياطين تنتشر حينئذ؛ فإذا ذهب ساعة من الليل فخلوهم وأغلقوا الأبواب، واذكروا اسم الله؛ فإن الشيطان لا يفتح بابًا مغلقًا، وأوكئوا قربكم، واذكروا اسم الله، وخمروا آنيتكم، واذكروا اسم الله، ولو أن تعرضوا عليها شيئًا، وأطفئوا مصابيحكم»[3] والشيطان وهو في البيت يشارك الإنسان في كل شيء، في الأكل والشرب حتى عند لقاء الزوج بزوجته؛ لهذا قال الرسول ﷺ «لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتي أهله قال: اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتني، فإن كان بينهما ولد لم يضره الشيطان، ولم يسلط عليه»[4] إن المسلم إذا أراد أن يحقق لنفسه السعادة ويتحصن بالله من الشيطان الرجيم وإبليس اللعين، فعليه أن يستعمل مفتاح السعادة وهو «بسم الله الرحمن الرحيم» فهي مفتاح كل عمل ناجح وببركتها يحفظ الشخص من الإهمال والتعطل، وإنه ينبغي للمسلم أن يحرص على أن يبدأ كل شيء ببسم الله الرحمن الرحيم. وإذا أردت أن تكون البركة معك والنماء تحت قدميك، والتوفيق يصاحبك، فابدأ كل حركة وسكنة بذكر الله،

---

(١) سورة الأعراف الآية: ١٧.

(٢) رواه الإمام أحمد.

(٣) رواه البخاري.

(٤) رواه البخاري.

واستعن بالله، حتى عند دخولك إلى بيتك فقل «بسم الله. ثم سلم على أهل البيت.. السلام عليكم ورحمة الله»، وإلى هذا أشار الحق سبحانه: ﴿ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ﴾[1] إن الشيطان مهما بلغ من قوته وجبروته وسطوته وسلطانه وكيده وكثرة أتباعه، فإنه أضعف من الضعف أمام الشخص قوي الإيمان، الذي عنده ثقة في ربه ويعتمد عليه، لذلك فهو لا يغفل عن ذكر الله، فقلبه مطمئن ، وهو يستعين دائمًا بالصبر والصلاة، ويسد على الشيطان منافذه في جسده، بكثرة الصيام فدخل بذلك في زمرة عباد الله المخلصين الذين قال الله عنهم لإبليس الملعون: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴾[2] إن ذكر الله هو السياج الواقي والحصن القوي الذي لا يستطيع الشيطان أن ينفذ منه إلى قلب المؤمن الذاكر لله ولأن الشيطان قال لله سبحانه: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٨٢ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ۝٨٣ ﴾[3]. من هنا نجد الشيطان أمام هؤلاء الأتقياء الأصفياء أضعف من الضعف وقد بين الله ذلك بقوله: ﴿ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ۝٧٦ ﴾[4] بينما يبين الحق سبحانه كيد النساء بأنه عظيم فيقول الحق سبحانه: ﴿ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ۝٢٨ ﴾[5] ولما كان الشيطان ضعيفًا أمام المؤمن، فإن على كل شخص أن يحصن نفسه بحفظ القرآن، وبذكر الله، وبذلك نغلق أمام الشيطان كل باب يدخل منه إلى نفوسنا أو يحتل بيوتنا، فإذا وجدك الشيطان قوى الإيمان ضعف أمامك ووهنت قواه؛ فتمسك أيها الشخص بدينك، وكن قوي الإيمان، لأن قوة الإيمان هي الصخرة التي يتحطم عليها كيد الشيطان وطوبى لعبد يزيد إيمانه بالعمل الصالح، وحسن الطاعة لله؛ فإن هموم الحياة ومصائبها تهون عليه لأنه وقر في قلبه أنه لن يقع في ملك الله إلا ما أراد، لهذا

(١) سورة النور الآية: ٦١.

(٢) سورة الإسراء الآية: ٦٥.

(٣) سورة ص الآيتان: ٨٢، ٨٣.

(٤) سورة النساء الآية: ٧٦.

(٥) سورة يوسف الآية: ٢٨.

كان الإيمان القوي أمانًا من كل شيء، أمانًا في الدنيا، وأمانًا في الآخرة، وأمانًا للنفس وللأهل وما تمتلك. أما من عاش بلا إيمان فلا يصلي ولا يدعو الله، ولا يلجأ إليه، فقد اختار الضياع لنفسه ولمن حوله، وفي هذا قال الشاعر محمد إقبال:

إذا الإيمان ضاع فلا أمان ... ولا دنيا لمن لم يحي دينا

ومن رضي الحياة بغير دين ... فقد جعل الفناء لها قرينا

ولكي يحفظك الله من الشيطان وأعوانه.. أكثر من الاستغفار.. وأكثر من الصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ﷺ، وحافظ على تأدية الفرائض والنوافل؛ فبذلك تقترب من ربك، ويبتعد عنك الشيطان، وترزق التوفيق؛ فإن خير ما يصعد إلى السماء العمل الصالح المتوج بالإخلاص، وخير ما ينزل من السماء التوفيق، وعلينا أن نحصن بيوتنا بقراءة سورة البقرة؛ فقراءتها لا تحتملها الفجرة من السحرة، ولا تطيقها البطلة من الشياطين؛ فهي لا تستطيع الاستماع إليها، ولا تقدر الشياطين على النفاد منها. ولذا ورد في الحديث «تعلموا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة»[1] وفي الحديث الآخر «لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان يفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة»[2]. حصن نفسك بالإيمان، وحصن أولادك بإطعامهم من حلال، وصل نفسك بالله عن طريق المراقبة له؛ فإن الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه، فإن يقينك القوي، بأنه يراك، وهو معك بقوته وحوله وإرادته ومشيئته؛ فاستعن بالله ولا تعجز، واعلم أن الناس جميعًا لو أرادوا أن يكيدوا لك ويسحروا لك فإنك بالله أقوى منهم، وإنك محصن بالحصن الواقي الذي ينكسر عليه جبروت الشيطان وأوليائه.. وصدق الله العظيم حين قال: ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ ﴾[3].

---

(١) رواه أحمد.

(٢) رواه مسلم.

(٣) سورة البقرة الآية: ٢٥٧.

أكبر دليل

لكي يتبين لك صدق ما قلناه من أن الإيمان هو أقوى سلاح يتسلح به المؤمن ضد السحر وضد الشيطان ما حدث لسيدنا موسى عليه السلام.. لأن الله سبحانه اختار موسى نبيًا وقال له: ﴿ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾[1] وكل نبي له معجزة من جنس ما نبغ فيه، من سيبعث إليهم، والناس في زمن موسى عليه السلام نبغوا في السحر وتفننوا فيه وكانت عندهم مدارس يتعلمون فيها الحيل كلها، من خفة اليد وسرعة الأداء. وكان يحكم مصر قبل بعثة موسى عليه السلام فرعون حاكم ظالم فاسد، ومن حوله حاشيته وبطانته أسوأ منه، وكانوا جبابرة ظلمة؛ ففرعون ادعى الألوهية وقال لشعبه: ﴿ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ ﴾[2] واستخف بعقول شعبه وقال لهم: ﴿ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ ﴾[3] لهذا نجد أن سيدنا موسى تخوف من فرعون وقال لربه: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِى هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾[4] وهنا قال الله لموسى: ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ ﴾[5] وموسى عليه السلام عندما رأى عصاه تحولت إلى حية هَمَّ بترك

(١) سورة النازعات الآيات: ١٧ - ١٩.

(٢) سورة النازعات الآية: ٢٤.

(٣) سورة الزخرف الآية: ٥١.

(٤) سورة القصص الآيات: ٣٣ - ٣٥.

(٥) سورة طه من ١٧ - ٢٠.

المكان، لكن الله أمره بقوله: ﴿ وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ ﴾[1].

عرف موسى أنه يحمل أمانة الرسالة، ولا بد من التبليغ وهو مؤيد من رب العالمين. وإذا كان الله معك لا تخف من أحد، فالله يرعاك ويحفظك ويفتح لك الأبواب المغلقة، لأنه كما قال ربنا جل في علاه: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ ﴾[2] توجه سيدنا موسى عليه السلام ومعه سيدنا هارون وقال الله لهما: ﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ ﴾[3] واستجابا على الفور وسيدنا موسى عليه السلام مزود بسلاحين هما:

العصا التي تنقلب إلى حية ثم تعود كما كانت.

كان يدخل يده في جيبه تخرج بيضاء كقرص الشمس.

ولقد قلنا بأن السحر كانت له مدارس يشرف عليها الكهنة والمنجمون، وقد استطاعوا أن يستولوا على عقل فرعون ومشاعره، فهو تحت سيطرة السحرة. وهاهو موسى رسول الله ومعه هارون يدخلان إلى قصر فرعون الذي شيد على أحدث ما وصل إليه فن المعمار، والحراس تحيط به من كل جانب، والوزراء والقادة والأمراء يجلسون في حضرة فرعون حاكم مصر، والذي ادعى الألوهية وهم يعظمونه ويسجدون له ويعلنون الولاء له صباح مساء. ولم يشعروا إلا وموسى يتوجه بالكلام إلى فرعون ويقول له بلغة الواثق الآمن أنا وأخي

(١) سورة النمل الآية: ١٠.

(٢) الطلاق الآية ٢، ٣.

(٣) طه الآيات من ٤٣ – ٤٦.

هارون نقول لك: ﴿ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَاءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ ﴾[1] والقارئ الكريم عليه أن يرجع إلى سورة الأعراف، وسورة طه، وسورة القصص، وسورة الشعراء وسيجد متعة رائعة في الحوار الذي دار بين سيدنا موسى وفرعون، وأن سيدنا موسى كان يردد دائمًا «ربك» لتكون هي الدليل القوي على أنك يا فرعون لست برب، لأنك تأكل وتشرب وتنام وتتزوج النساء.. فبهت فرعون، وجلساؤه. لكن فرعون بذكائه قال لموسى عليه السلام: ﴿ قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴾[2] فيرد موسى بذكاء أفحم فرعون وقال: ﴿ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ﴾[3] وبهت فرعون من الرد وقال لسيدنا موسى: ﴿ قَالَ فَأْتِ بِهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾[4] وتحرك سيدنا موسى ورمى بعصاه على الأرض ويصور القرآن ذلك فيقول: ﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ﴾[5] لكن فرعون الذي أراد أن يهون من هول ما حدث، وأن يعتبره من وجهة نظره شيئًا هينًا لذلك ﴿ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾[6] إن فرعون بخبثه ودهائه قبل التحدي في القضية من دعوته هو أولاً، إلا أنه أشرك القوم معه، وذكرهم بوطنهم، وأن الوطن غال جدًا، لذلك كان ردهم: ﴿ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴾[7] لقد فهم القوم أن موسى وهارون ساحران، وأن مصر بها من السحرة ما لا يتفوق عليهم أحد، وانتهى الأمر بالموافقة على استدعاء أكابر السحرة، الذين وجهت

(١) سورة طه الآية: ٤٧.

(٢) سورة الشعراء الآية: ٢٩.

(٣) سورة الشعراء الآية: ٣٠.

(٤) سورة الشعراء الآية: ٣١.

(٥) سورة الشعراء الآية: ٣٢ – ٣٣.

(٦) سورة الشعراء الآية: ٣٤ – ٣٥.

(٧) سورة الشعراء الآية: ٣٦ – ٣٧.

إليهم الدعوة، وفعلاً حضروا إلى القصر وقالوا لفرعون الذي استقبلهم بالترحاب، نطلب مكافأة مالية سخية لأننا سوف نستعمل أساليب جديدة ونبتكر في الأداء السحري الذي يعلي شأنك ويرفع قدرك ويقهر خصمك، قال فرعون: لكم ما طلبتم سوف أحققه لكم وأقربكم مني، وأجعل منكم الوزراء وأمنحكم أكثر مما تطلبون، يعبر القرآن عن ذلك فيقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُواْ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ۝ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ۝ ﴾[1] كان قصر فرعون كل من فيه على قدم وساق، كل واحد منهم يريد أن يطمئن على مصير القصر الذي بدأ يهتز من حولهم، والأرض تميد بهم؛ لذلك اطمأنوا بعد مجيء السحرة، وهم من المشهود لهم بقوة التأثير، وممارسة العمل، وقراءة النجوم، ومعرفة الطالع؛ إذًا فلا خوف ولا وهن، وإنما علينا أن نتماسك، واتفقوا على أن يكون موعد لقاء موسى عليه السلام مع السحرة هو يوم عطلة، ويوم عيد كذلك، والناس فيه يلبسون ملابس جديدة، وكلهم في فرح بهذا اليوم؛ وقبل موسى عليه السلام لقاء السحرة في هذا اليوم، وقال لفرعون كما حكى القرآن: ﴿ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ۝ ﴾[2] وجاء السحرة يتقدمهم فرعون الذي اعتلى على كرسي عال ليشاهد الأمور ويتابعها على حقيقتها، ومن حوله الوزراء والقادة والأمراء وبقية الشعب الذي حرص جميع أفراده على الحضور لمشاهدة هذا الموقف الرائع الذي لا يجود به الزمان مرة أخرى، وتلاقى موسى مع السحرة وخاطبهم: ﴿ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ۝ ﴾[3] وانتحى موسى وهارون، أما السحرة فقد اتفقوا فيما بينهم، خاصة وأن فرعون وعد السحرة بما يسيل له اللعاب؛ قالوا إن موسى وهارون جاءا لإفساد الرأي العام، وحتى يخلو لهما الجو العام يعبر القرآن عن ذلك بقول الله سبحانه عن السحرة: ﴿ فَتَنَٰزَعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَىٰ ۝ قَالُوٓاْ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم

(١) سورة الشعراء الآيات: ٤١، ٤٢.

(٢) سورة طه الآية: ٥٩.

(٣) سورة طه الآية: ٦١.

مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾ ﴾[1] بعد تشاور كل فريق بدأ اللقاء المرتقب وهنا تقدم السحرة وقالوا لموسى: ﴿ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ﴾[2] هكذا حكى القرآن عنهم، وإذا بالحبال والعصي تتحرك وسحروا أعين الناس الذين أحسوا بالخوف والرهبة، حتى سيدنا موسى الذي أوجس في نفسه خيفة بعد أن شاهد هذا المنظر الرهيب الذي يدل على قدرة فائقة في السحر، وليس هناك في العالم أحد يستطيع أن يأتي بمثل ما جاء به السحرة اليوم، لكن الله سبحانه ثبت موسى بقوله: ﴿ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ ﴾[3] لم يشعر أحد بما ألهم الله به موسى؛ حيث ثبت يقينه واطمأن إلى نصر الله. كان الجمهور في حالة هياج وتصفيق وتخبيط وصياح، وفرعون في غاية النشوة، فهاهم سحرته الذين أغدق عليهم ووعدهم إن تفوقوا في عملهم وأظهروا براعة في ميدان السحر وغلبوا موسى وهارون أن يمنحهم ويعطيهم... ولكن..

فرحة فرعون لم تتم

سحرة فرعون قالوا: بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون. أما موسى فقد قال استعنت بالله واعتمدت عليه، فهو سبحانه معي سيهديني إلى الصواب والحق، ولن يخذلني، ثم ألقى عصاه. وكأنني ساعتها بمن يردد:

إذا جـــاء موســـى وألقـــى العـــصا ... فقـــد بطـــل الـــسحرُ والـــساحرُ

والقرآن يعبر أصدق تعبير عن ذلك فيقول: ﴿ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾[4] لقد ألهم الله موسى أن هذا فعل السحرة. والساحر لا يفلح أبدًا، لأنه أفاك

(١) سورة طه الآيات: ٦٢- ٦٤.

(٢) سورة طه الآيتان: ٦٥، ٦٦.

(٣) سورة طه الآية: ٦٨.

(٤) سورة الشعراء الآية: ٤٥.

ومحتال، ولهذا قال الله سبحانه: ﴿ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَىٰ ۝٦٨ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ۝٦٩ ﴾[1] السحرة رغم أنهم عاشوا في جو الفساد إلا أنهم كانوا على فطرة سليمة، لذلك عندما رأوا عصى موسى تلتهم حبالهم وعصيهم، عرفوا أنهم أمام قوة غير عادية، وأن موسى على حق وأنهم على باطل. ومن الشجاعة أن يعترفوا بأن موسى جاء بالحق الذي يجب عليهم أن يتبعوه، والاعتراف بالحق فضيلة؛ لذلك سجدوا وهم يرددون ويقولون بصوت يسمعه الجميع: ﴿ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٤٧ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ۝٤٨ ﴾[2] هنا هاج فرعون وكشر عن أنيابه، ثم وجه إليهم التهديد مع توقيع أشد العقاب عليهم ويردد: ﴿ قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ۝٧١ ﴾[3] لكن السحرة قالوا في صدق وبلغة الواثق: لقد تبين لنا أن موسى وهارون على حق؛ فرد فرعون وقال لهم: ﴿ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ ﴾[4] أنتم وهو تريدون الاستيلاء على ملكي ومملكتي، لكن هذا لن يكون، سأجعلكم عبرة، وسوف أحطمكم، وسأنزل بكم أشد أنواع العذاب، ولماذا فعلتم ذلك وأنا ضمنت لكم الرزق والمكانة العالية في المجتمع، وأنتم رؤساء السحرة وقادة المدارس التي تعلم هذا الفن فلم هذا؟ قالوا: يا فرعون، الحق أحق أن يتبع، فتمادى في غيه وتهديده؛ فردوا عليه وقالوا له: ﴿ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا ۖ فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۝٧٢ إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ ۗ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ۝٧٣ إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ۝٧٤ وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ۝٧٥ جَنَّاتُ عَدْنٍ

(١) سورة طه الآيتان: ٦٨، ٦٩.

(٢) سورة الشعراء الآيتان: ٤٧ – ٤٨.

(٣) سورة طه الآية: ٧١.

(٤) سورة الشعراء الآية: ٤٩.

﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾﴾[1]. هذه قصة رائعة وقعت أحداثها على أرض مصر، وبين يدي فرعون الذي شعر بالانهزام أمام الجماهير بسبب السحرة الذين أعلنوا صبرهم على العذاب، وقالوا لربهم: أفرغ علينا صبرًا، وتوفنا مسلمين، وهذه توبة تقبلها الله منهم، وأثابهم عليها، بل ومن كرمه وفضله وإحسانه أن جعل لهم السيئات السابقة حسنات، لأنه سبحانه القائل: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾[2]. ومن يقرأ هذه القصة يتبين له أن السحر كله دجل وشعوذة، وأن على الإنسان أن يستعمل عقله ويعتمد على ربه ويؤدي حق الله، وحق الناس، وحق المجتمع فإن فعل ذلك استحق نصر الله الذي وعده للمؤمنين وصدق الله العظيم في قوله: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾﴾[3].

(١) سورة طه الآيات: ٧٢ – ٧٦.

(٢) سورة الفرقان الآيات: ٦٨ – ٧٠.

(٣) سورة غافر الآية: ٥١.